

القسم العمومي

﴿ القرآن والكتب المنزلة ﴾

المقالة الثالثة لاقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جرس في ١٣ مايس سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم محدود في
 اولي العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم
 نُحسد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة
 عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد
 بسائر الكتب السماوية وانها بوحى من الله والهام بل يعرف من صريح
 كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد
 بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمثلون أصراً من أوامره ويمجبون داعياً من
 دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب
 الآلهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مهيمن
 على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم
 فيه يختلفون مصدق لمامهم من الحق ولكنهم يقولون ان القرآن خاتمة الكتب
 كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلماً الا
 يؤمن بالتوراة والانجيل والزيبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب
 الآلهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن
 الخطأ والزوال وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق
 وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف
عندنا ان الانجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب
القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت
وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله
عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة في نقل من تحقق عصمته
أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام
الانجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وما امره من الكتب
الالهية تقبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره
وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله
عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل كما تقولون في المسيح عليه السلام
وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاؤه الله له كذلك لا يقدح إنكار
من أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته . ولقد أرشدني
الاطلاع على مذاهب المسلمين في التلميح الى انهم لا يابون عن تسليم أدلة
التيسير التي ذكرها في كتابه المسمى بـ"راعيين دين المسيح غير انهم
يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلاً يمدون من بيانات دينهم
ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب
عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين آبهوه كما يرشد اليه
أدنى الفكر في أحوالهم من ثباتهم معه في ساعات المسرة ومصابرتهم
في الشدائد وازدياد ايمانهم في الضراء واستقامة سيرهم في السراء . ومنها
ما بهر العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

مجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها الفريد في قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتماسها لنفوسهم على الكمال الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانتماء الى ما يدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة في النعماء وتشرهم شمار التسليم والاصطبار في البأساء. وفي الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بمحاثن زكية نقيه عليه وأحكام تسطو بسطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحى من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شئ مما نقل في كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا بحجاب عنه بأن هذا لا يقدح في رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والمياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليثبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بفراشه وقدرنا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عوّل في دعواه عليها. على ان الاعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت في هذه الايام مما يمد عقبة في طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس محبون الدين سهل القبول لولاها فمدول محمد (صلى الله عليه وسلم) في اثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق انبائه والبراهين العقلية التى تحقق اليها البصائر السامية كل ذاك آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم عليها

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون
 ثم ان المسلمين لا يتفقون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الجدول لكنهم
 يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ودينهم
 (صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة
 والسلام) قد تواتر أنبأؤهم على التبشير بدينهم كما تقول في عيسى عليه السلام
 وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء
 أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد
 التأويل الثاني الصق بعبارة النبا فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين
 متعادلتين وانما يرجع كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول
 سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى المسلمين
 المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥
 فيمد ان بين تاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم نبي نسه ملك اليهود منذاج
 للاصنام في هيكل القدس وفسر الصم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس
 بالرحس المحرب وعبر عن الحرب بتسخير الأوردين لاورشليم فأراني
 كيف أن احد المدين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وان
 الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون
 فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن
 ابن علي دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين
 لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها
 ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكثرا كيف يستدل
المحمديون بأبناء كتب اليهود والنصارى على إثبات دينهم وتحقيق يقينهم
بقي شيء يشتد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنّة
جسمانية فيها من الحور العين ما تشبهه نفوس المؤمنين على انى أقول وما
انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود
(عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية
وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمخنا من درس فصول
ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنيات عن محبة المسيح لأمة
ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا الممدودة
عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهي الجنة
ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من
ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه
وان لنا عبارة تألفها نفوسنا ونترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول
«أورشليم المذهبة المباركة بالابن والصل» وليس بخطى قائل لنا ان نعمات
المظفرين وأنعماني الخلقين التي نجدها في مكاشفات يوحنا تذكرنا بأن غاية
المسيحي من ايمانه وأمله المطلوب من عبادته ان يصل الى جنّة نعيمه فيها
ان يأكل ويشرب ويسكر ويذني كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام
الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل
لفظ وجدل منى محسوس على سر مسموع

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً يتعالى الى
غير النهاية عن النعيم الجسداني ولنا تكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراة الا الاكل والشرب وقضاء شهوات
 أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون
 وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل
 على ذلك ففيها عن نبهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه ان أعظم فوز يفوز
 به المبد في الآخرة هو لقاء ربه في الفردوس والآصال وهو نعم يفوق كل
 نعم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون
 ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا ان الله
 قد أعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشره
 وان في عوائد المهديين ان رضوان الله أكبر من كل نعم فان وافقنا
 المسلم على ان الجنة جنة اية لا تيقن ان تكون جزء الماء في الآخرة
 أفلا يجوز له أن يأكل ما ورد في كتابه من ذلك كما أن الجنة المشيد
 وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عدده في كتابه
 ما يشير الى ان بعض نصوص الله لهم من التاويل لا يؤيد علمنا فيه
 وله في السنة ما معناه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا ما يشاء الله
 ثم ذكر لنا في البشارات ما يدوخ النار ويشير الى ان ما جاء فيها من
 التأويلات خرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب بصرح لنا بان ما في
 من الأقوال حق لا ريب فيه كما هو مذکور فلكم مهديين حق ان طالبوا
 الجنة الروحانية والذائد السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابتهم ورواياتهم
 هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم وانما أحسب من الظلم
 القاحش أن لا ندوخ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نبلدك
 في ايضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)